الفصل الرابع

مسئوليات الآباء التربوية والأخلاقية

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول :

إلزام الأولاد أداء العبادات المفروضة والمسنونة بدءا بأركان الإسلام .

المبحث الثاني :

البدء بتعليم الأولاد القرآن العظيم وتحفيظهم إياه وأثر ذلك .

المبحث الثالث :

التنشئة بأسلوب القدوة العملية والتعويد والترغيب والترهيب على مكارم الأخلاق .

المبحث الرابع :

تحصين الأولاد ضد الغزو الفكري ، وبيان أهم مبادئ الإسلام في ذلك .

المبحث الخامس :

مسئولية الآباء تجاه الأولاد بعد سن البلوغ والرشد .

المبحث الأول :إلزام الأولاد أداء العبادات المفروضة والمسنونة بدءاً بأركان الإسلام

الإسلام دين الله الخالد الذي لا يقبل ديناً غيره ، وهو في مفهومه الأشمل يتضمن الإيمان والعمل ، العقيدة والشريعة ، الأخلاق والمعاملات ، وأحكامه كما بينها العلماء متنوعة بين الوجوب والاستحباب في جانب الطاعات ، وبين التحريم والكراهة في جانب المنهيات .

والأبوان من حيث ولايتهما على الأولاد دون سن البلوغ -لا سيما الأب باعتبار قوامته على من في البيت- من واجباتهما الشرعية إلزام الأولاد بالعبادات تعويداً وتعليماً ، وتربية وتقويماً ، تعاوناً وتعاضداً ، أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، أداء للأمانة وقياماً بالواجب .

وهنا أفرد الحديث عن واجب الآباء في هذا المضمار من حيث (الإلزام) فأقول :

يعطي الإسلام الآباء مقومات الإلزام من منطلق الولاية والرعاية التي يتحملونها تجاه الأولاد ، فالأولاد أمانة في أعناق الوالدين ، والأمانة حقها الأداء لا الإضاعة ! .

ومن الأداء للأمانة إلزام الولد بأداء فرائض الدين وأداء الحقوق لأهلها ، تربية وتقويماً ، وتعليماً وتهذيباً ، يتبين ذلك من خلال النصوص الآتية :

- قول الباري جل ذكره : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[1] .

- قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَـٰبِ إِسْمَـٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾[2] .

---

(١) سورة طه : الآية ١٣٢ .

(٢) سورة مريم : الآية ٥٤ - ٥٥ .

- قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1] .

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «لقد هممت أن آمر بحطب ثم آمر بالصلاة يؤذن لها ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم! والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء»[2] .

قوله : «عرقاً سميناً» العرق بالسكون العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم[3] .

وقوله : «مرماتين حسنتين» المرماة ظلف الشاة وقيل ما بين ظلفيها ، وقيل المرماة السهم الصغير الذي يتعلم به الرمي وهو أحقر السهام وأدناها ، أي لو دعي إلى مرماتين لأجاب وهو لا يجيب إلى الصلاة[4] .

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ! ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ! ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا»[5] .

ومعنى قوله : «استهموا» أي لو يعلم الناس فضل الأذان والصف الأول ولم يقدروا عليه إلا بالاقتراع لاقترعوا وأخذ كل واحد نصيباً بطريق إجراء القرعة ، والحبو المشي على اليدين والركبتين كما يفعل الأطفال الرضع !

يؤخذ من هذه النصوص وأمثالها في مضمار إلزام الأولاد أداء العبادات :

(أ) أن المسلم يحرص على أن لا يفوته الخير والفضيلة مما يعد من الفروض التي لا يصح التفريط فيها ولا التكاسل عنها ، فهو يحافظ على شعائر الدين في

---

(١) سورة الحج : الآية ٤١ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأحكام (٧٢٢٤) واللفظ له ، ومسلم في كتاب المساجد حديث رقم (٦٥١) .

(٣ ، ٤) النهاية لابن الأثير ٣/٩٩ ، وأيضاً ٢/١١٣ .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الشهادات (٢٦٨٩) ، ومسلم في كتاب الصلاة (٤٣٧) .

العقبى لا يوصل إليهما إلا على جسر من التعب ، ويعوده الانتباه آخر الليل فإنه وقت قسم الغنائم وتفريق الجوائز ، فمستقل ومستكثر ومحروم ، فمتى اعتاد ذلك صغيراً سهل عليه كبيرا»[1] .

وقال : «ويجنبه فضول الطعام والكلام والمنام ومخالطة الأنام ، فإن الخسارة في هذه الفضلات تفوت على العبد خير دنياه وآخرته ، ويجنبه مضار الشهوات المتعلقة بالبطن والفرج غاية التجنب ، فإن تمكينه من أسبابها والفسح له فيها يفسده فساداً يعز عليه بعده صلاحه ، وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله وترك تأديبه وإعانته له على شهواته ، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه ، وأنه يرحمه وقد ظلمه ! ففاته انتفاعه بولده وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة ، وإذا اعتبر الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء» .

وهذا ولا يخفى أهمية إبراز جانب القدوة العملية في أخلاق الوالدين إذ طبع الولد على حب المحاكاة والتقليد ، فهو يرى العالم من خلال ما يلقنه الأب والأم ، وتمثل أخلاقهما المعيار الأصدق والأسمى في نظر الطفل ، لذا نوه الحديث الشريف بتأثير الوالدين العميق في (تدين) الولد وتوجهه الفكري والعقدي كما أشار إلى ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»**[2] .

وعليه فينبغي للآباء توخي الصدق وعفة اللسان والالتزام بسائر الخصال الشريفة التي يأمر بها الدين الحنيف ، والتزامهم بذلك جزء أساس في صلاح البيت وأسلوب رشيد بالغ التأثير في تربية الأولاد على الخلق الفاضل والسمت الكريم .

---

(١) تحفة المودود ص ١٤٦ .

(٢) متفق عليه ، وقد سبق ص ٥ .

وفيما يلي بعض النماذج المقتبسة من الكتاب العزيز وسنة النبي ﷺ يستضاء بها في هذا المضمار :

- الإخلاص :

الإخلاص لب الدين وحقيقته ، وكلمة الإخلاص «لا إله إلا الله» أساس الدين وأصله الأصيل ، وهو ما اتفقت عليه جميع رسالات الله . قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[1] .

وتربية الولد على الإخلاص في الأقوال والأعمال والمقاصد يبدأ منذ سن التمييز كما سبقت الإشارة إليه ، ليستشعر غايته في كل عمل يؤديه وهي ابتغاء وجه الله ، وبهذه النية الصالحة يرشد مسلكه فيتخلص من أدواء النفس وتتأسس أخلاقه على أساس وطيد ويكتب له ولوليه بذلك الأجر .

قال تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴾[2] ، فمن أخلص فابتغى وجه ربه رضي عنه وأرضاه بالجزاء الأوفى .

إن للإخلاص في حياة المسلم القيمة العليا والأثر الأكبر ، وإن تربية الولد على هذه الخصلة الشريفة والخلق الأصيل أفضل ما يقدمه والد لولده وفلذة كبده بل هو أجل ما يسديه إليه وينشئه عليه .

- الصدق :

هو مطابقة القول العمل ، وموافقة الكلام الواقع ، قال في مفردات القرآن : الصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً ، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا تاماً[3] .

والصدق من أمهات الأخلاق ، وهو من خصائص المؤمنين ، يهدي إلى الخير

(١) سورة البينة : الآية ٥ .

(٢) سورة الليل : الآيات ١٩ - ٢١ .

(٣) مفردات القرآن مادة (صدق) ص ٢٧٧ .

المبحث الثاني : البدء بتعليم الأولاد القرآن العظيم وتحفيظهم إياه وآثار ذلك

القرآن العظيم كتاب الله يهدي للتي هي أقوم وإلى صراط مستقيم .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1] .

والقرآن العظيم كما أنه كتاب هداية وإصلاح هو كذلك كتاب تربية وتهذيب ، يتضمن منهاج الحياة السوية ، بل لا منهج تربوياً كاملاً في مضامينه شاملاً في مقاصده كالمنهج القرآني الجليل !

ولقد كان النبي ﷺ منذ فجر الإسلام يربي أصحابه على القرآن العظيم تلاوة وحفظاً وتدبراً وعملاً وتطبيقاً ، يقول الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2] . ومن معطيات الآية الشريفة أن الأمة كي تزكو وترشد إنما تؤسس كافة أنماط حياتها على أسس التربية الإسلامية وهي تلاوة الكتاب بمعنى القراءة والعمل وعلى تزكية النفس بصنوف الطاعات والقربات ، وتعلم الحكمة وهي السنة .

وإنه لمن خصائص الأمة المحمدية أنها أمة القرآن ، تحمله في قلوبها وتطبقه في حياتها وترجع إليه في كافة شؤونها ، فالقرآن العظيم متلو على الألسن محفوظ في الصدور وعلى السطور ، قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[3] .

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٩ .

(٢) سورة الجمعة : الآية ٢ .

(٣) سورة العنكبوت : الآية ٤٩ .

والمؤمنون هم الذين حملوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ وحملوه بعده ، وإنما أعطي الحفظ هذه الأمة ، وكان من قبلهم لا يقرؤون كتابهم إلا نظراً فإذا أطبقوه لم يحفظوا ما فيه سوى الأنبياء[1] .

ولو تأملنا سيرة النبي ﷺ وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم لرأينا أنهم كانوا يتلون القرآن العظيم ويتخذونه عملاً يومياً لا ينفكون عنه فكانوا يحزبون القرآن أي يجزؤونه ليسهل ترداده وحفظه وكانوا يحفظونه وهم أمة أمية تلقياً ومشافهة من النبي ﷺ في صلواته وغيرها ، فالقرآن روح الأمة الإسلامية ومصدر عزها وسبب فلاحها في الدنيا والآخرة ، والمسلمون تقاس استقامتهم بمقدار تمسكهم بكتاب ربهم عز وجل :

- ففي حديث عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال : «**إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي**»[2] .

قال ابن حجر : يعرض -بكسر الراء- من العرض وهو بفتح العين وسكون الراء ، أي يقرأ ، والمراد يستعرضه ما أقرأه إياه ، والمعارضة مفاعلة من الجانبين ، كأن كلاً منهما كان تارة يقرأ والآخر يستمع[3] .

- ويقول أوس بن حذيفة رضي الله عنه لقد أبطأ علينا رسول الله ﷺ ذات ليلة ، قال : «**إنه طرأ عليّ حزبي من القرآن فكرهت أن أخرج حتى أتمه**» ، قال أوس : فسألت أصحاب النبي ﷺ كيف تحزبون القرآن؟ قالوا : ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة وحزب المفصل من قاف حتى يختم[4] .

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ٣٧٨/٦ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب المناقب (٣٦٢٤) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (٢٤٥٠) .

(٣) الفتح ٤٣/٩ .

(٤) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (١٣٩٣) ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة (١٣٤٥) ، وأحمد في مسند المدنيين (١٥٥٧٨) واللفظ له .

- ويقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : لقد تعلمت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرؤهن اثنين اثنين في كل ركعة : عشرون سورة من أول المفصل آخرهن الحواميم حم الدخان وعم يتساءلون[1] .

- ويقول عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه : ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة إلا وقد سمعت رسول الله ﷺ يؤم الناس بها في الصلاة المكتوبة[2] وهذا غيض من فيض .

لقد كان هذا هو دأب الصحابة رضوان الله عليهم في أنفسهم وفي أولادهم ، وهم أكرم الأجيال وخيرها وأفضلها ، يحفظون القرآن ويحفظونه أولادهم تلقياً عن رسول الله ﷺ في صلواته وغيرها حتى كان حفظ القرآن وتلاوته وتلقيه جزءاً من حياتهم اليومية .

وفيما يلي نماذج كريمة لأبناء الصحابة رضوان الله عليهم وكيف كان تعليمهم وتربيتهم مؤسسين على القرآن العظيم وكيف كان تنافسهم في حفظه وتلاوته ، وذلك جزء من المنهاج النبوي في التربية :

- يقول البراء رضي الله عنه :

أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فجعلا يقرئاننا القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ، ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء فما جاء حتى قرأت ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ في سورة مثلها[3] .

- ويقول عبدالله بن العباس رضي الله عنهما : «توفي رسول الله ﷺ وأنا

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن حديث رقم (٤٩٩٦) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين حديث رقم (٨٢٢) .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (٨١٤) .

(٣) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن (٤٦٥٧) ، وأحمد في مسند الكوفيين (١٧٧٧٩) .

ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم» قال سعيد بن جبير : قلت له وما المحكم؟ قال : المفصل[1] [2] .

- ولقد كان جل الصحابة يحزبون القرآن أحزاباً يقرأون الحزب بحسب استطاعتهم وقدرتهم كما سبق في حديث أوس رضي الله عنه وفيه أن أصحاب النبي ﷺ كانوا يحزبون القرآن ثلاث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدى عشرة سورة ، وثلاث عشرة سورة ، وحزب المفصل من قاف حتى يختم[3] .

وهذا التحزيب للقرآن هو أعدل ما يلزم به المسلم نفسه لا سيما إن أراد حفظ القرآن وتعاهده خشية التفلت ، وبه يختم القرآن العظيم كل أسبوع مرة ، وقد ذكر العلماء أوجهاً لتحديد هذا الحزب القرآني أوفقها ما ذكره الحافظ ابن كثير -رحمه الله- قال : إذا عددت ثمانياً وأربعين سورة فالتي بعدهن سورة ﴿قٓ﴾ وبيانه ثلاث : البقرة وآل عمران والنساء ، وخمس : المائدة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة .

وسبع : يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل . وتسع : سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان .

وإحدى عشرة : الشعراء والنمل والقصص والعنكبوت والروم ولقمان وألم السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس . وثلاث عشرة : الصافات وص والزمر وغافر وحم السجدة وحم عسق والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف والقتال والفتح والحجرات . ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة رضي الله عنهم[4] .

- وكانوا يرتلون القرآن آناء الليل وآناء النهار ، وكان أكثر تلاوتهم بالليل بعد

---

(١) المفصل : السور التي يكثر الفصل فيها وهي عند الجمهور من سورة ﴿قٓ﴾ إلى آخر القرآن .

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن (٥٠٥٣) ، وأحمد في مسند بني هاشم (٢١٦٩) .

(٣) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد وقد سبق قريباً ، ص ١٦٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ٤/٢٣٢ .

فراغهم من المشاغل والمهن ، ولأن ناشئة الليل أشد وطئاً وأقوم قيلا ، وكانت بيوتهم تعرف في ظلمة الليل بأصواتهم من القرآن ! كما في حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار**»[1] .

وبلغ من اهتمامهم بتعلم وتعليم القرآن أن كان أحدهم قد لا يملك من حطام الدنيا شيئاً لكنه يحفظ سوراً من القرآن يرددها ويتدبر فيها ويعتز بها والأمثلة عليه أكثر من أن تحصر ، كما في قصة الواهبة نفسها لما خطبها أحد الصحابة فقال له ﷺ : «**التمس ولو خاتماً من حديد**» **فما وجد ثم قال له : ماذا معك من القرآن؟! فراح يعدد السور فقال له : «ملكتكها بما معك من القرآن»** رواه سهل بن سعد رضي الله عنه[2] .

وهناك مسائل تتعلق بهذا الموضوع مثل الترتيل والتجويد والتلقي عن مقرئ ومراجعة المحفوظ وتعهده خشية التفلت وتحين الأوقات المناسبة للترتيل والمراجعة ، يجمل بالأب الذي يود أن ينشأ ولده في رياض القرآن الإلمام بها[3] .

وجدير بالتنويه هنا في ختام هذا المبحث الإشادة بحفظة القرآن الكريم وطلابه في المملكة العربية السعودية مهبط الوحي ومأرز الإيمان ، وما يحظون به من تشجيع وتكريم وذلك من خلال مدارس تحفيظ القرآن الكريم التابعة لوزارة المعارف ، وحلقات تحفيظ القرآن التي تشرف عليها وزارة الشؤون الإسلامية .

وكذلك مدارس تحفيظ القرآن الكريم التابعة للأزهر الشريف في مصر وغيرها

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب المغازي حديث (٤٢٣٢) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة حديث رقم (٢٤٩٩) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن حديث (٥٠٣٠) ، ومسلم في كتاب النكاح حديث رقم (١٤٢٥) .

(٣) انظر كيف تحفظ القرآن الكريم للمؤلف .

من بلاد المسلمين ، وهذا من عناية الله بعباده وحفظه وصونه لكتابه المبين ، وتوفيقه لعباده الصالحين .

هذا ولئن كانت الناشئة عماد الأمة وأمل المستقبل فحري أن تنشّأ على مائدة القرآن وأن تنهل من معينه الذي لا ينضب ، وأن يكون القرآن العظيم وهو كلام الله جل ذكره الهاجس الأكبر للولد يقرؤه ويردده غدواً وعشيا في الخلوة والجلوة ، يتلوه تدبراً وتفكراً قراءة وعملاً ، حتى إذا شب عن الطوق شب وقد امتلأ صدره بنور القرآن وشغف قلبه بحبه فكان تقياً نقياً عالماً عاملاً ، وأي سعادة يحصلها الإنسان بعد هذه؟! .

المبحث الثالث : التنشئة بأسلوب القدوة العملية والتعويد والترغيب والترهيب على مكارم الأخلاق

الأخلاق هي لب الإسلام وجوهره ، لأن الإسلام في حقيقته إنما هو دعوة إلى مكارم الأخلاق كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[1] . فمفتتح الأخلاق ومبتدؤها الإخلاص لله تعالى ، وهو مقصد التربية الإسلامية وهدفها الأجل .

والأبوان المسلمان الواعيان ينبغي قبل كل شيء أن يحققا الإخلاص لله تعالى ، وأن يتحليا بمكارم الأخلاق ليكون تعليمهم الأولاد ذلك وتربيتهم عليه بأسلوب القدوة العملية التي هي أعمق تأثيراً من الأسلوب الخطابي أو التلقين أو التذكير أو غيرها من أساليب التعليم .

ولقد أمر القرآن العظيم عموم المسلمين بالتحلي بمكارم الأخلاق ومجامعها ونهاهم عن رذائلها قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2] .

كما شنع على الذين يقولون ما لا يفعلون ، الذين تخالف أقوالهم أفعالهم ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾[3] .

ونوه بقيمة الكلمة التي يتبعها عمل وقدوة صالحة يراها الولد في أبويه أو أحدهما ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾[4] .

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسند المكثرين حديث رقم (٨٥٩٥) .

(٢) سورة النحل : الآية ٩٠ .

(٣) سورة الصف : الآيتان ٢ - ٣ .

(٤) سورة مريم : الآية ٢٨ .

إن تربية الأولاد على الأخلاق الإسلامية مهمة جليلة ، بل هي المهمة الأساس التي تناط بالآباء فليس أحد أقدر من الوالدين على ترسيخ الأخلاق في فؤاد الولد وتحويرها على النمط المتوخى وحمايته من المؤثرات السلبية .

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- : «ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خُلقه فإنه ينشأ على ما عوده المربي في صغره من حرد[1] وغضب ولجاج ، وعجلة وخفة مع هواه وطيش ، وحدة وجشع ، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك ، وتصير هذه الأخلاق صفات وهيئات راسخة له فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته ولا بد يوماً ما ، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأوا عليها !» .

وكذلك يجب أن يتجنب الصبي إذا عقل مجالس اللهو والباطل والغناء وسماع الفحش والبدع ومنطق السوء ، فإذا علق بسمعه عسر عليه مفارقته في الكبر وعز على وليه استنقاذه منه ! فتغيير العوائد من أصعب الأمور يحتاج صاحبه إلى استجداد طبيعة ثانية ، والخروج على حكم الطبيعة المعتادة عسر جداً .

وينبغي لوليه أن يجنبه الأخذ من غيره غاية التجنب ، فإنه متى اعتاد الأخذ صار له طبيعة ، ونشأ بأن يأخذ لا بأن يعطي ! ويعوده البذل والإعطاء ! وإذا أراد الولي أن يعطي أحداً شيئاً أعطاه إياه على يده ليذوق حلاوة الإعطاء !

ويجنبه الكذب والخيانة أعظم مما يجنبه السم الناقع فإنه متى سهل له سبيل الكذب والخيانة أفسد عليه سعادة الدنيا والآخرة وحرمه كل خير .

ويجنبه الكسل والبطالة والدعة والراحة ، بل يأخذه بأضدادها ، ولا يريحه إلا بما يجم نفسه وبدنه للشغل ، فإن للكسل والبطالة عواقب سوء ومغبة ندم ، وللجد والتعب عواقب حميدة إما في الدنيا وإما في العقبى وإما فيهما ، فأروح الناس أتعب الناس و أتعب الناس أروح الناس ، فالسيادة في الدنيا والسعادة في

---

(١) الحرد : سرعة الغيظ ، قال في المعجم الوسيط ١٦٥/١ : حرد اغتاظ فتحرش بالذي غاظه وهمّ به .

نفسه وولده ومن تحت رعايته وولايته ، وأن المسلم يلزم أولاده ذكوراً وإناثاً كلاً بحسبه بالعبادات لا سيما أصولها وهي : الصلاة والصيام وقراءة القرآن ، وهي التي جاء ذكرها في الصحيحين كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما لما أتاه النبي ﷺ وقال : «**ألم أحدث أنك قلت لأصومن النهار ولأقومن الليل ولأقرأن القرآن في ثلاث**»؟ قال : بلى ! قال : «**فلا تفعل ! فإنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين ونقهت له النفس**»[1] . ثم أمره بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وهذه العبادات هي المعروفة في حديث الخوارج : «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية**» رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه[2][3] .

(ب) أن العلام والجارية يؤدبان على الطهارة إذا تمت لهما عشر سنوات .

قال ابن قدامة : يجب على ولي الصبي أن يعلمه الطهارة إذا بلغ سبع سنين ويأمره بها ويؤدبه عليها إذا بلغ عشر سنين ، والأصل في ذلك حديث سبرة الجهني عن أبيه عن جده رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال : «**علموا الصبي الصلاة ابن سبع سنين واضربوه عليها ابن عشر**»[4] .

---

(١) قوله : (هجمت له العين) أي غارت ودخلت في موضعها ، ومنه الهجوم على القوم أي الدخول عليهم : النهاية ٤/٢٥٦ . وقوله : (نقهت له النفس) أي مرضت واعتلت أو لم تستصح كما ينبغي .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب استتابة المرتدين حديث رقم (٦٩٣٠) ، ومسلم في كتاب الزكاة حديث رقم (١٠٦٦) .

(٣) مجموع الفتاوى ١٠/٣٩١ .

(٤) رواه أبو داود في كتاب الصلاة (٤٩٤) ، والترمذي في كتاب الصلاة (٤٠٧) واللفظ له وقال : حسن صحيح ، وأحمد في مسند المكثرين حديث (٦٤٦٧) ، والدارمي في كتاب الصلاة حديث رقم (١٣٩٥) ، واللفظ للترمذي والدارمي .

يقول الإمام العلامة ابن القيم -رحمه الله- : والصبي وإن لم يكن مكلفاً فوليه مكلف لا يحل له تمكينه من المحرم فإنه يعتاده ، ويعسر فطامه عنه ، وهذا أصح قولي العلماء ، واحتج من لم يره حراماً عليه بأنه غير مكلف ، فلم يحرم لبسه للحرير كالدابة ، وهذا من أفسد القياس ، فإن الصبي وإن لم يكن مكلفاً فإنه مستعد للتكليف ، ولهذا لا يمكن من الصلاة بغير وضوء ، ولا من الصلاة عرياناً ، ونجساً ، ولا من شرب الخمر والقمار واللواط[1] .

وسن الإلزام هو سن العاشرة ، إذ يبتدئ بتعليمه الصلاة وغيرها من العبادات في سن السابعة ويؤدبه عليها في سن العاشرة .

قال ابن القيم : فإذا صار ابن عشر ازداد قوة وعقلاً واحتمالاً للعبادات ، فيضرب على ترك الصلاة كما أمر به النبي ﷺ ، وهذا ضرب تأديب وتمرين ، وعند بلوغ العاشرة يتجدد له حال أخرى يقوى فيها تمييزه ومعرفته ، ولذلك ذهب كثير من الفقهاء إلى وجوب الإيمان عليه في هذه الحال وأنه يعاقب على تركه ، وهذا اختيار أبي الخطاب وغيره وهو قول قوي جداً ، وإن رفع عنه قلم التكليف بالفروع ، فإنه قد أعطي آلة معرفة الصانع والإقرار بتوحيده وصدق رسله ، وتمكن من نظر مثله واستدلاله كما هو متمكن من فهم العلوم والصنائع ومصالح دنياه ، فلا عذر له في الكفر بالله ورسوله ، مع أن أدلة الإيمان بالله ورسوله أظهر من كل علم وصناعة يتعلمها[2] .

وإذا بلغ الفتى أو الفتاة سن الخامسة عشرة أو قريباً منها أو ظهرت عليهما أمارات البلوغ فقد بلغا مبلغ الرجال والنساء ، وصار إلزامهما بالفرائض آكد وجرت عليهما أحكام البالغين الراشدين .

---

(١) تحفة المودود ص ١٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٥ .

والى جنات النعيم كما أن الكذب من صفات المنافقين يهدي إلى الشر والى عذاب الجحيم ، كما في حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكون عند الله صديقا ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا**»[1] .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان**»[2] .

وتربية الولد على فضيلة الصدق يكون في المقام الأول بالقدوة بأن يلتزم الأبوان وسائر من في البيت بالصدق في القول والعمل ، في الجد والهزل ، ليرى الولد ذلك تطبيقاً عملياً فينشأ عليه ويراه خلقاً حياً فلا ينفك عنه طيلة حياته بعد أن تربى عليه واشتد عوده به .

لقد حرص الدين الحنيف على أن تكون سمة الصدق جلباباً يتحلى به البيت المسلم حتى في أسلوب التعامل مع الأطفال الصغار الذين قد لا يتفطن لنباهتهم ودقة تلقيهم من خلال سلوك الآباء .

وفي حديث عبدالله بن عامر رضي الله عنه قال : **دعتني أمي يوماً ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت : ها تعال أعطيك ! فقال لها رسول الله ﷺ : «وما أردت أن تعطيه»؟! قالت : أعطيه تمراً ، فقال لها رسول الله ﷺ : «أما إنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة»**[3] .

والأبوان يحتاجان إلى ترغيب الولد في المحاسن وتحبيبها إليه ، فعليهما أن لا يعداه بشيء إلا بنية التحقيق وإن كان من الأمور المحقرة ، وإن كان على سبيل المزح ، ولقد كان النبي ﷺ يمازح أصحابه لكنه كان لا يقول إلا حقا .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب (٦٠٩٤) ، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٦٠٧) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان (٣٣) ، ومسلم في كتاب الإيمان (٥٩) .

(٣) رواه أبو داود في كتاب الأدب (٤٩٩١) ، وأحمد في مسند المكيين (١٥١٤٧) .

ومن الصدق في القول الاقتصاد في الكلام والاقتصار على النافع منه وهو ما ينبغي ملاحظته في تربية الناشئة وفي حديث حفص بن عاصم ﷺ مرفوعاً : «**كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع**»[1] .

إن الصدق كما أنه سمة البيت المسلم الرشيد ، هو -كذلك- سبيل إلى التحلي بسلسلة لا يستهان بها من مكارم الأخلاق المرتبطة بالصدق كالعفة والأمانة والوفاء ، بل لا تكاد تجد خلقاً فاضلاً إلا وله عُرى تتداخل مع الصدق في وشائج متلاحمة ، وتأمل حديث صفوان ﷺ وفيه قول النبي ﷺ لما سئل أيكذب المؤمن قال : «**لا**» ![2] فجعل الصدق أمارة الإيمان .

- عفة اللسان :

اللسان آلة النطق والبيان ، وهي نعمة تميز بها الإنسان عن سائر البهائم ، وللسان محاسنه بل لا تجاريه في المحاسن جارحة أخرى ! وللسان -أيضاً- آفاته الموبقة ومزالقه المهلكة ، وعليه فإن مصير الإنسان يتقرر من لسانه ! وفي حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**»[3] .

ومما يستهين به كثير من الآباء حال الغضب الدعوة على الولد فقد يوافق ساعة إجابة فيتسبب في شقاوة ولده وفلذة كبده وقد جاء في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : «**ثلاث دعوات مستجابات دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده**»[4] .

---

(١) رواه مسلم في المقدمة برقم (٥) ، وأبو داود في كتاب الأدب (٤٩٩٣) .

(٢) جزء من حديث رواه مالك في موطئه في كتاب الجامع حديث رقم (١٥٧١) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الرقاق حديث (٦٤٧٧) ومسلم في كتاب الزهد حديث (٢٩٨٨) .

(٤) رواه الترمذي في كتاب الدعوات حديث (٣٤٤٨) وحسنه ، وابن ماجه في كتاب الدعاء (٣٨٦٢) ، وأبو داود في كتاب الصلاة حديث (١٥٣٦) ، وأحمد في مسند المكثرين (٧١٩٧) .

وفي حديث أبي اليسر ﷺ مرفوعاً : «لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله تبارك وتعالى ساعة نيل فيها عطاء فيستجيب لكم»[1] .

ومما يعين الآباء على الالتزام بالكلمة الموفقة المسددة شعورهم بقيمتها وأثرها وتبعاتها كما سبق في حديث من ينزل بكلمته في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب ، وأيضاً التورط في لعن الوالدين وقد حذر منه النبي ﷺ كما في حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما : «إن أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه»[2] .

وفي اتخاذ السب عادة جرأة عظيمة فلئن كان سب المسلم فسقاً لو سبه مرة واحدة فكيف من يتخذ ذلك عادة ! جاء في حديث عبدالله بن مسعود ﷺ قال : قال النبي ﷺ : «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[3] .

ومع ذلك إدراك قيمة الكلمة الطيبة وآثارها في النفس وفي الحياة وقد جاء في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ : «الكلمة الطيبة صدقة»[4] .

ومن هنا فإن ترويض اللسان على محاسن الأقوال وإلجامه بلجام العفاف والتقوى يبدأ من سن مبكرة ويتحمل الأبوان مسئولياتهما التربوية في تهذيب ألسنة الأولاد .

وأسلوب القدوة من أقوم الأساليب وأنجعها في تربية الناشئة على عفة اللسان ، فإذا كان الولد يسمع من أبويه أو أحدهما بذاءة اللسان من السب واللعن والطعن والتنقص والكذب والنميمة وكثرة الحلف والحلف الكاذب ، قلده في ذلك وجاراه وظن أن هذا من الذكاء والكياسة وترسخ ذلك لديه حتى يصبح ملكة على مر الأيام فيصعب تغييره وتحويره !

---

(١) رواه مسلم في كتاب الزهد حديث (٣٠١٤) ، وأبو داود في كتاب الصلاة حديث (١٥٣٢) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (٥٩٧٣) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الإيمان (٩٠) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (٤٨) ، ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٦٤) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجهاد حديث (٢٩٨٩) ، ومسلم في كتاب الزكاة (١٠٠٩) .

وأما إذا سمع منه قولاً كريماً ورأى هدياً قويماً تأسى به فصار له طبعاً فسعد وأسعد غيره ! .

إن المسلم يتميز عن غيره بعفة اللسان وسداد القول وهو مظهر من مظاهر سلامة الطوية وتكامل الرشد ، قال الله تعالى : ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[1] .

وقال : ﴿ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ ﴾[2] . وقال : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[3] . وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾[4] .

أي قصداً وحقاً وصواباً ، مأخوذ من تسديد السهم ليصاب به الغرض ، والقول السديد يعم الخيرات فهو عام في جميع ما ذكر وغير ذلك[5] .

ومن هدي النبي ﷺ قول أنس رضي الله عنه : **«لم يكن النبي ﷺ سباباً ولا فحاشاً ولا لعاناً كان يقول عند المعتبة : ما له ترب جبينه»**[6] .

وقوله : «ترب جبينه» : كلمة تقولها العرب ولا تقصد معناها ، وهو أصابه التراب ولصق به ، وقيل تضمن الدعاء له بالطاعة والصلاة .

ومما يدخل في عفة اللسان الاعتدال في الكلام ويلزم منه ترك المدح بغير علم والمدح المبالغ فيه كما في حديث عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال : أثنى رجل على آخر عند النبي ﷺ قال له : **«ويلك ! قطعت عنق أخيك -ثلاثاً- من كان منكم مادحاً لا محالة فليقل أحسب فلاناً والله حسيبه ، ولا أزكي**

---

(١) سورة الإسراء : الآية ٥٣ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٤٨ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٨٣ .

(٤) سورة الأحزاب : الآية ٧٠ .

(٥) تفسير القرطبي ٢٥٣/١٤ .

(٦) رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠٣١) ، وأحمد في مسند المكثرين حديث (١١٨٢٦) .

على الله أحداً إن كان يعلم»[1] . فلا يمدح إلا بما يعرف ، ولا يمدح إلا إذا وثق من أنه لا يخشى عليه من فتنة الإعجاب بنفسه لكمال تقواه ورسوخ عقله كما يقول النووي[2] .

وهذه الآداب ضرورية للولد منذ تميزه بين الخير والشر ، لأنها تنمي لديه ملكة الموازنة بين المصالح والمفاسد وإدراك عاقبة البر ومساوئ الفحش ، فينشأ نشأة سوية بإذن الله .

- إفشاء السلام :

الإسلام دين السلام والرحمة والوئام ، والسلام أمارة المسلم قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[3] .

وهو من الأعمال الجليلة ومن أسباب دخول الجنة ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم**»[4] .

ولو تأملنا سيرة النبي ﷺ لوجدناها حافلة بتعليم الصغار السلام وتربيتهم وتعويدهم عليه ، تأمل حديث أبي هريرة رضي الله عنه عنه ﷺ : «**يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير**»[5] .

وفي هذا الأمر والتوجه النبوي الكريم إشعار للأولاد الصغار بمكانتهم الاجتماعية وأنهم أهل لمبادلة التحية مع من يكبرونهم سناً أو مقاماً وأن الصغير يحترم الكبير ويبدؤه بتحية السلام ، هذا من الجانب النظري .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث رقم (٦١٦٢) ، ومسلم في كتاب الزهد حديث رقم (٣٠٠٠) .

(٢) المنهاج للنووي ٣٣٦/١٨ .

(٣) سورة النساء : الآية ٩٤ .

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث (٥٤) ، والترمذي في كتاب الاستئذان حديث (٢٦٨٨) ، وأبو داود في كتاب الأدب حديث (٥١٩٣) ، وابن ماجه في المقدمة حديث رقم (٦٨) .

(٥) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الاستئذان حديث (٦٢٣١) واللفظ له ، ومسلم في كتاب السلام حديث (٢١٦٠) .

أما الجانب التطبيقي فكذلك وهو متمم لجانب التلقين والتعليم ، ولقد مر أنس ﷺ على صبيان فسلم عليهم وقال : «كان النبي ﷺ يفعله»[1] . وأحواله ﷺ في هذا أكثر من أن تحصى .

ومن آداب السلام التي ينبغي تربية الولد عليها :

- تعليمه صيغ السلام المشروعة بدءاً ورداً ، أما البدء به فهو فضيلة كما سبق فيسلم الصغير على الكبير ، فيقول السلام عليكم . ولما في إفشاء السلام من تعزيز لأواصر المحبة والألفة والمودة بين المسلمين .

- والصيغة الأكمل وهي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

- وأن رد السلام واجب وبدؤه سنة وفي وجوب الرد قول الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴾[2] .

- وأن السلام ينبغي أن يفشى بين أفراد المجتمع على اختلاف درجاتهم فلا يقتصر على المعرفة ولا يكون بين الكبار فقط ، ولا يكون عند الحاجة أو لغرض فإذا انقضت الحاجة فلا سلام !! فإن هذا كله من الجهل والسفه وقلة الخير .

ففي حديث عبدالله بن عمرو ﷺ قال : سأل رجل النبي ﷺ فقال : أي الإسلام خير؟ قال : «**تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف**»[3] .

---

(١) متفق عليه . رواه البخاري في كتاب الاستئذان حديث (٦٢٤٧) ، ومسلم في كتاب السلام حديث (٢١٦٨) .

(٢) سورة النساء : الآية ٨٦ .

(٣) متفق عليه . رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث (١٢) ، ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٣٩) .

- وأن هجر المسلم لا يجوز فوق ثلاث . ففي حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»[1] .

- آداب الاستئذان :

الأولاد الصغار -كما هو معروف- يكثر منهم الفضول وتكثر مع ذلك حاجتهم إلى التهذيب والتوجيه ، وأدب الاستئذان من الآداب الإسلامية التي ينشأ عليها المسلم منذ صباه ، ولقد تنزلت آيات من القرآن العظيم تحض المسلمين على إلزام الأولاد قبل بلوغ الحلم بهذا الأدب في ثلاثة أوقات فإذا بلغوا وصاروا مكلفين استأذنوا في سائر الأوقات التي يجب فيها الاستئذان ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

ثم قال منوهاً بأن وجوب الاستئذان يسري على البالغين جميعاً : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2] .

وعليه فإن هاتين الآيتين ليستا بمنسوختين ولا ناسختين كما زعمه بعض المفسرين ، وهذا هو اختيار أماثل المفسرين كابن كثير .

قال ابن الجوزي : وأكثر علماء المفسرين على أن هذه الآية محكمة ثم علل ذلك

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠٧٧) ، ومسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٥٦٠) .

(٢) سورة النور : الآيتان ٥٨ - ٥٩ .

فقال : لأن معنى هذه الآية : وإذا بلغ الأطفال منكم أو من الأحرار الحلم فليستأذنوا في جميع الأوقات في الدخول عليكم : ﴿ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾[1] ، يعني كما استأذن الأحرار الكبار الذين هم قبلهم في الوجود ، وهم الذين أمروا بالاستئذان على كل حال ، فالبالغ يستأذن في كل وقت ، والطفل والمملوك يستأذنان في العورات الثلاث .

فالأولاد يؤمرون بالاستئذان في الأوقات الثلاث قبل البلوغ ، وفي كل وقت بعد البلوغ ، عملاً بقول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2] .

ومن الآداب المتعلقة بالاستئذان مما يُربى عليه الولد تعليمهم بحرمة البيوت وأن لها عوراتها المصونة ، فلا يجوز النظر إلى داخل بيوت الغير لا من ثقب الباب ولا من غيره ، ففي حديث سهل بن سعد ﷺ قال : اطلع رجل من جحر في حجر النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مدرى يحك بها رأسه فقال : «**لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك إنما جعل الاستئذان من أجل البصر**»[3] .

وعليه فقد قال لفيف من العلماء لو طعن صاحب البيت في عين المتلصص عليه لم يضمنه ولكان هدراً لأنه أهدر حرمة البيت وخالف آداب المسلمين ، فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : «**لو اطلع في بيتك أحد ولم تأذن له خذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح**»[4] .

ومن آداب الاستئذان أنه لو استأذن فقيل له من؟ فلا يقل أنا بل يسمي نفسه أو كنيته أو صناعته بما يعرف به ، وتعريف الولدان هذا الادب آكد لكثرة وقوعهم في ضده وجهلهم بحكمه وغفلتهم عنه وفي حديث جابر ﷺ قال :

(١) زاد المسير ٦/٦٢ .

(٢) سورة النور : الآية ٢٧ .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الاستئذان حديث (٦٢٤١) ، ومسلم في كتاب الآداب حديث (٢١٥٦) .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الديات حديث (٦٨٨٨) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الآداب حديث (٢١٥٨) .

أتيت النبي ﷺ في دَين كان على أبي فدققت الباب فقال : «من ذا»؟ فقلت : أنا . قال : «أنا أنا» ! كأنه كرهها[1] .

وإذا لم يؤذن له بعد ثلاث مرات فليرجع طيب النفس دون إزعاج ولا صراخ كما يفعل السفهاء والسفلة ، وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ : «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع»[2] .

هذا ومن صور الاستئذان التي ينبغي أن لا يغفلها الآباء الاستئذان المتضمن بيان الحكم كما في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال : أُتي النبي ﷺ بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام : «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء»؟ فقال الغلام : والله يا رسول الله ! لا أوثر بنصيبي منك أحداً !! قال «فتله رسول الله ﷺ في يده»[3] .

وإنما فعل ذلك تطييباً لقلبه ولبيان الحكم ،أن السنة تقديم الأيمن فالأيمن ولو كان مفضولاً بالنسبة إلى من على اليسار كما يقول النووي .

وقد ذكر ابن حجر تعليلات أخرى يتعلم منها الأكياس أساليب الدعوة وتأليف القلوب فليرجع إليه من شاء[4] .

وقد بسطت الكلام في هذه المسألة وما يتعلق بها من آداب وآثار في كتابي أدب الاستئذان فليراجعه من أراد[5] .

وبالله التوفيق

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الاستئذان حديث (٦٢٥٠) ، ومسلم في كتاب الآداب حديث رقم (٢١٥٥) .

(٢) متفق عليه رواه البخاري في كتاب الاستئذان حديث (٦٢٤٥) ، ومسلم في كتاب الآداب حديث (٢١٥٣) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب المساقاه حديث (٢٣٥١) ، ومسلم في كتاب الأشربة حديث (٢٠٣٠) .

(٤)انظر الفتح ٨٦/١٠ .

(٥) أدب الاستئذان للمؤلف ، ط ١٤٠٩هـ ، دار المجتمع جدة .

- صدق الوعد :

صدق الوعد لون رفيع من صدق اللسان ، وهو من أمارات الإيمان ، كما أن الكذب وخلف الوعد من أمارات النفاق ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان»[1] .

وتربية الولد على صدق الوعد تبدأ من خلال تعامله مع الوالدين الصادقين ، اللذين إذا وعداه وفيا ! فهو يتربى على هذا بطريق القدوة العملية التطبيقية التي هي أنجع وسائل تربية الأولاد لا سيما في سن التمييز وما يليها من مراحل عمر الإنسان .

وتبدو أهمية التربية على هذا الخلق الإسلامي الجليل -إضافة إلى ما سبق التنويه عنه من أمارات الإيمان- من خلال سلسلة أخلاقية تتعاظم في درجاتها عما يطالب به المسلم ، فمن ذلك الوفاء بأعظم العهود وهو عهد الله تبارك وتعالى قال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾[3] .

والعهد هنا يشمل الإيمان بالله وما يستلزمه من توحيده والإخلاص له وأداء الفرائض . . . وغير ذلك من أمور الدين ، كما يشمل عهود الناس وعقودهم التي يتعاملون بها بينهم[4] .

وفي الوفاء بالعهود التي بين العباد يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾[5] ، ويقول سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴾[6] .

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث رقم (٣٣) ، ومسلم في كتاب الإيمان حديث رقم (٥٩) .

(٢) سورة النحل : الآية ٩١ .

(٣) سورة الإسراء : الآية ٣٤ .

(٤) انظر تفسير القرطبي ٣٣٢/١ ، وتفسير ابن كثير ٤٥/٣ .

(٥) سورة المائدة : الآية ١ .

(٦) سورة الرعد : الآية ٢٠ .

وكل هذه العهود والمواثيق المناطة بذمة المسلم إنما ينتهض لها أولو العزم ممن كانت تربيته منذ الصغر على خلق الوفاء بالعهد بعد توفيق الله ومشيئته ، لأن ما تعود عليه الإنسان منذ الصبا وصار له طبعاً يكون أثبت في فؤاده وأسهل في أسلوب تعامله وجاري أخلاقه ، والوفاء بالعهد من مستلزمات الإيمان بالله وباليوم الآخر ، وعليه فإن تربية الأولاد على عقيدة الإيمان بالله وتوحيده وما يستتبع ذلك من لوازمه كالخوف والخشية والرجاء وتعلق القلب به سبحانه لما يندرج في أوليات اهتمامات الوالدين بتربية الأولاد ، كي ينشأوا نشأة إسلامية سوية .

- رحمة الضعيف :

الرحمة في ذاتها من سمات أهل الجنة ! كما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «**وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**»[1] .

فغرس الرحمة في فؤاد الولد منذ نعومة أظفاره ليكون رقيق القلب غزير الدمع شفقة وحنوا ، فياض المشاعر مرهف الحس ، يتأثر بأحوال المساكين والبؤساء والمحرومين . . . هو مطلب شرعي وخلق إسلامي نبيل يأمر به الوالدان والمربون والمعلمون .

والرحمة بمفهومها الواسع تأخذ أبعاداً أخلاقية متعددة ، فالأمة الإسلامية أمة رحمة والمسلمون دعاة سلام ورحمة وبر ، والبر بالضعفاء ورحمتهم من أخلاق المسلمين الأصيلة لأنهم يتراحمون وتتدرج التربية على الرحمة على درجات منها :

- رحمة الولد والحنو عليه والشفقة به ، وإحاطته بمشاعر المحبة والرقة والحنان والرعاية منذ تدرجه في مدارج الطفولة الأولى ، فلقد كان النبي ﷺ وهو نبي الرحمة يقول كما في رواية أنس رضي الله عنه : «**إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه عليه**»![2] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الجنائز حديث (١٢٨٤) ومسلم في الجنائز (٩٢٣) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأذان حديث (٧٠٩) ، ومسلم في كتاب الصلاة (٤٧٠) .

وكانت الرحمة بالصبيان والصبايا الصغار تجري منه ﷺ مجرى الدم من العروق ، فهو ﷺ مع قيامه بأعباء الرسالة يخصص وقتاً من عمره الشريف للأطفال يداعبهم ويحنو عليهم ويدعو لهم ، ومما تزخر به كتب السنة في هذا الجانب التربوي الهام حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : «كان النبي ﷺ يؤتى بالصبيان فيدعو لهم ، فأتي بصبي فبال على ثوبه فدعا بماء فأتبعه إياه ولم يغسله»[1] .

ويقول أبو موسى رضي الله عنه : «ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم فحنكه بتمرة ودعا له بالبركة ودفعه إلي» وكان أكبر أولاد أبي موسى[2] .

وكان ﷺ مع أسلوبه العملي هذا يوجه إلى الرحمة بالأطفال والمساكين كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وكالذي يصوم النهار ويقوم الليل»[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قبّل رسول الله ﷺ الحسن أو الحسين وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحداً منهم ، فنظر إليه النبي ﷺ فقال : «من لا يَرحم لا يُرحم»[4] .

- تعريف الولد بحق القريب الضعيف فإن حقه مقدم على المسكين غير القريب قال تعالى : ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ . . . ﴾[5] .

- تعليمه هذا الأدب وتمرينه عليه ليعلم أن الكبير يحترم ويوقر سواء كان كبير سن أو مقام ، وأن الصغير يُرحم ، وأن هذا من آداب المسلمين وأخلاقهم التي

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الدعوات حديث (٦٣٥٥) ، ومسلم في كتاب الطهارة (٢٨٦)

(٢) رواه البخاري في كتاب العقيقة حديث رقم (٥٤٦٧) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠٠٦) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق حديث رقم (٢٩٨٢) .

(٤) متفق عليه . رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٥٩٩٧) ، ومسلم في كتاب الفضائل حديث رقم (٢٣١٨) .

(٥) الإسراء : الآية ٢٦ .

لا يصح التهاون بها أو التفريط فيها ، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «من لم يَرحم صغيرنا ويعرف كبيرنا فليس منا»[1] .

وهذا التراحم إذا استشعره كل مسلم وأدى ما عليه فيه كان عاملاً مهماً من عوامل ترابط الأمة الإسلامية وتكامل وتساند بنيانها كما في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2] .

ويبدأ ذلك من البيت المسلم بتعليم الأولاد خلق الرحمة والتراحم بكل صوره الممكنة نظرياً وعملياً ليتعلمها ويتمرس عليها .

قال ابن حجر قال ابن جمرة : الذي يظهر أن التراحم والتوادد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى لكن بينها فرق لطيف ، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضا بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر ، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب للمحبة كالتزاور والتهادي ، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم كما يعطف الثوب عليه ليقويه[3] .

وهذه المعاني المنبثقة من الرحمة والراجعة إليها ، تشملها كلها التربية الأبوية التي ينبغي أن ينشأ عليها الولد منذ صباه ، كي يكون عارفاً بمرامي الرحمة واعياً مستوعباً لمستلزماتها قائما بها .

- الرفق بالحيوان :

تعيش البهائم والعجماوات بين الناس وقد سخرت لهم ، وهيأ الله عز وجل للإنسان سبل تطويعها وتسخيرها لمنافعه ، وأوجب عليه مراعاة الجوانب الإنسانية

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب حديث (٤٩٤٣) واللفظ له ، والترمذي في كتاب البر والصلة حديث (١٩١٩) وقال : حديث غريب ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث (٦٧٧٦) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠١١) ، ومسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٥٨٦) .

(٣) الفتح ٤٣٩/١٠ .

والضوابط الأخلاقية في التعامل معها ومن ذلك الرفق واللين وتجنب العنف والغلظة ، وجعل ذلك من جملة المعروف الذي يؤمر به وتركه من المنكر الذي ينهى عنه .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : **«دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»**[1] .

وعليه فلا يجوز تجويع البهائم ولا حبسها لغير حاجة ولا تعذيبها ولا التلهي والتسلية بإيذائها كما يفعل السفهاء فيما يسمى بمصارعة الديكة ومصارعة الثيران وتناطح الكباش ونحو ذلك مما ليس من أخلاق المسلمين ، ولا هو من عوائدهم بل إنما يعرف في بلاد الكفرة من الإفرنج وغيرهم .

والولد -كما هو مشاهد ومعروف- كثير الشغف بالحيوانات لا سيما الصغيرة منها كالطيور والقطط وما شابهها ، ويجب تعليمه الرفق بها وتجنب مضارتها وليكون ذلك من جملة التربية التي ينشأ عليها ، سواء ما يكون في بيته أو في الحدائق العامة أو في أي مكان .

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يراعون غرس هذا الخلق في أولادهم فيأمرونهم بالرفق وينهونهم عن ضده ، ومن ذلك أن أنساً رضي الله عنه رأى غلماناً نصبوا دجاجة يرمونها ، فقال : **«نهى النبي ﷺ أن تصبر البهائم»**[2] .

وقوله : **«صبر البهائم»** : حبسها وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه ، وما رواه سعيد بن جبير رحمه الله قال : كنت عند ابن عمر رضي الله عنهما فمروا بفتية نصبوا دجاجة يرمونها فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها ، وقال ابن عمر : **«من فعل هذا إن النبي ﷺ لعن من فعل هذا»** .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب بدء الخلق حديث (٣٣١٨) واللفظ له ، ومسلم في كتاب السلام حديث رقم (٢٢٤٢) .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الذبائح حديث (٥٥١٣) ، ومسلم في كتاب الصيد (١٩٥٦) .

وقال ابن عمر : «لعن النبي ﷺ من مثل بالحيوان»[1] .

وقال ابن العباس رضي الله عنهما : «نهى رسول الله ﷺ عن التحريش بين البهائم»[2] .

- الأمانة :

الأمانة من أمهات الأخلاق التي يتفرع عنها سلسلة من الأخلاق الحميدة والأمانة من سمات المؤمنين وعكسه الخيانة من سمات النفاق ومن أوصاف المنافق كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : «وإذا اؤتمن خان»[3] .

ولقد أمر الله تعالى بالأمانة بمفهومها الشامل فقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾[4] .

ويدخل فيها الأمانة التي هي بمعنى حفظ الودائع وكل ما يتحمله المسلم ويجب عليه أداؤه من الحقوق والواجبات ، من أمانة السمع وأمانة البصر وأمانة الفؤاد ، وكل ما يطالب به المسلم .

فيعلم الولد ويبصر بأن يحفظ سمعه وبصره وجوارحه عما لا يحل وأن يكون مراقباً لربه عز وجل أميناً على محارمه وحرماته ، ومتى نشأ على هذا الوصف الحميد تجنب الغش والخداع والخيانة والاختلاس والسرقة وسائر ما حرمه الله عز وجل ، وفعل هذا خوفاً من الباري سبحانه وتعالى ، حيث قال في محكم التنزيل : ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾[5] . وهذا مطلب تربوي في غاية الأهمية ومن الله تعالى التوفيق .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الذبائح حديث (٥٥١٥) ، ومسلم في كتاب الصيد (١٩٥٨) .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الجهاد حديث (٢٥٦٢) والترمذي في كتاب الجهاد حديث (١٧٠٨) .

(٣) متفق عليه : وقد تقدم ص ١٨٠ .

(٤) سورة النساء : الآية ٥٨ .

(٥) سورة الأنبياء : الآية ١١٠ .

- البر بالوالدين :

حق الوالدين مقرون بحق الله تعالى في كتابه المجيد ، قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[1] .

والبر بالوالدين خُلق يُربى عليه الولد منذ الصغر لا سيما البر بالأم وحقها أعظم وآكد ، وذلك من خلال مظاهره الكثيرة كخفض الصوت عند مخاطبة الوالدين وتقبيلهما واستئذانهما عند الخروج من البيت ، ومناداتهما بسمة الأبوة والأمومة ونحو ذلك مما يستوعبه عقل الطفل المميز .

ثم ومع تقدم السنين يُربى على سمات البر بهما بتبصيره بحقوقهما ومكانتهما في الدين ، وأن البر بهما أفضل الأعمال بعد الصلوات المفروضة وأنه مقدم على جلائل الأعمال كالجهاد في سبيل الله كما في حديث النبي ﷺ : لما سأله عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه أي العمل أحب إلى الله؟ قال : «الصلاة على وقتها» ، قال : ثم أي؟ قال : «ثم بر الوالدين» ، قال : ثم أي؟ قال : «الجهاد في سبيل الله»[2] .

وتعريفهما بعد ذلك بالعقوق وصوره وشناعته وقبحه وأنه ليس من أخلاق المسلمين .

حتى إذا راهق الولد الحلم عرف حق والديه واستقر ذلك في نفسه وتمرس على أدائه والقيام به ، وكلما تقدمت به السن ازداد بره بوالديه وكثر دعاؤه لهما كما قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ ﴾[3] .

---

(١) سورة الإسراء : الآيتان ٢٣ - ٢٤ .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٥٩٧٠) ، ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٨٥) .

(٣) سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

وكثير من الآباء الذين يتجرعون غصص العقوق من أولادهم إنما يذوقون وبال أمرهم بإهمالهم التربية في الصغر، ومنه قول قائلهم: يا أبت أهملتني صغيراً وعققتك كبيراً!

- مراعاة حقوق الجيران:

للجار حق عظيم في الإسلام، وهو حق لا يستهان به، وحسبنا في تعظيمه قول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ﴾[1].

ففي هذه الآية الشريفة نوه تعالى عن ثلاثة أنواع من الجيران:

١ - (الجار ذي القربى) هو الذي بينك وبينه قرابة وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أو هو الجار المسلم، وتكون القرابة قرابة الإسلام.

٢ - (الجار الجنب) وهو الغريب مسلماً كان أو يهودياً أو نصرانياً وهو اختيار الطبري، أو هو الجار عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٣ - (الصاحب بالجنب) وهو الزوجة أو الرفيق في السفر[2].

وهذا يدل على أن للجار في الإسلام مكانة عالية بينها النبي ﷺ بقوله كما في حديث عائشة رضي الله عنها: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[3]. أي يأمر الله بتوريث الجار جاره قال ابن حجر: واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدي والنافع والضار والقريب والأجنبي والأقرب داراً والأبعد وله مراتب بعضها أعلى من بعض ثم شرع يفصلها[4].

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٢) زاد المسير ٢/٧٩.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠١٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٦٢٤).

(٤) انظر الفتح ١٠/٤٤١.

ولعل من أهم أساليب تربية الأولاد على مراعاة حقوق الجيران بعد تعليمهم وتبصيرهم بها ، الممارسة العملية كالزيارة وتفقد الأحوال والمواساة والإهداء والإتحاف والعون المادي والمعنوي ، فالابن إذا اصطحبه أبوه في زيارة أو ناول جاره هدية ، وبصره والداه من قبل ذلك بحق الجيرة بأسلوب القصة وغيرها تعود على ذلك وأحبه ورسخ في قلبه .

ولقد كان النبي ﷺ يتبع هذا الأسلوب العملي فلقد كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده فقال : «أسلم» فأسلم . رواه أنس رضي الله عنه [1] .

وقال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه في الإهداء وتعهد الحاجات : **«يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»**[2] .

وقال في حض المسلم على أن يكون طويل البال واسع الصدر مع جاره لا سيما فيما يتعلق بالأمور المعاشية : **«لا يمنع أحدكم جاره أن يغرز خشبة في جداره»** ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : «ما لي أراكم عنها معرضين والله لأرمين بها بين أكتافكم»[3] .

وسلسلة الحقوق المتعلقة بالجيرة أكثر من أن تحصى في مثل هذا المقام ، ولعل في هذا القدر كفاية وبالله التوفيق .

- التسامح :

التسامح والعفو والحلم والأناة ، أخلاق إسلامية جليلة بعضها يرادف البعض الآخر ، وكلها تعود بالنفع والخير العميم على المجتمع بأسره .

---

(١) رواه البخاري في كتاب المرضى حديث رقم (٥٦٥٧) ، وأبو داود في كتاب الجنائز حديث (٣٠٩٥) .

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٦٢٥) واللفظ له ، والترمذي في كتاب الأطعمة حديث (١٧٥٦) ، وابن ماجه في كتاب الأطعمة حديث (٣٣٦٢) ، وأحمد في مسند الأنصار حديث (٢٠٤١٧) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب المظالم حديث (٢٤٦٣) واللفظ له ، ومسلم في كتاب المساقاة حديث رقم (١٦٠٩) .

والتسامح خصلة عزيزة على النفس لأن الطبيعة البشرية مفطورة على الشح والأنانية وحب الذات والرغبة في الانتقام . . . فالتسامح وهو البلسم الشافي لعلل النفوس يتطلب تربية مبكرة كي يسهل على الإنسان إبان كبره وهو يواجه أصناف الناس وطبائعهم المتباينة ، وفي روح التسامح التي يتصف بها الصالحون يقول تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾[1] .

وأسلوب القدوة والتربية الرفيقة اللينة البعيدة عن العنف وعن الغلظة تغرس في الولد روح التسامح وتترعرع شجرته في فؤاده مع حسن التوجيه ، ولنتأمل هذا الأسلوب الرفيق من سنة النبي ﷺ ، قال أنس رضي الله عنه : **«كان النبي ﷺ من أحسن الناس خُلقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة فقلت والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني رسول الله ﷺ فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق فإذا رسول الله ﷺ قد قبض بقفاي من ورائي ، قال : فنظرت إليه وهو يضحك !! فقال ﷺ : «يا أنيس ! أذهبت حيث أمرتك»؟ قال : قلت نعم أنا أذهب يا رسول الله ، قال أنس : والله لقد خدمته سبع سنين ما علمته قال لشيء صنعته لم فعلت كذا وكذا أو لشيء تركته هلا فعلت كذا وكذا»**[2] .

والاعتدال في التسامح هو المعنى الذي تقتضيه الحكمة ، وهو الذي لا يضيع معه حق ولا يترك في النفس مذلة أو شعوراً بالظلم ولا يكون معه إهدار لقيم أو مبادئ .

- الحشمة والحياء :

الحياء خلق إسلامي نبيل والحياء من الإيمان ، و**«الحياء لا يأتي إلا بخير»** كما في رواية عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً[3] .

---

(١) سورة الفرقان : الآية ٦٣ .

(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل حديث (٢٣١٠) ، وأبو داود في كتاب الأدب حديث (٤٧٧٣) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦١١٧) ، ومسلم في كتاب الإيمان حديث (٣٧) .

«ولقد كان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئاً يكرهه عرف في وجهه» . كما يقول أبو سعيد الخدري رضي الله عنه[1] .

قال الراغب : الحياء انقباض النفس عن القبائح وتركها لذلك[2] .

وقال ابن حجر -رحمه الله تعالى- : الحياء في اللغة تغيير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ، وفي الشرع خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق[3] .

ومن مستلزمات التربية على خلق الحياء إيقاف الولد على مساوئ ما هو ضده من الفحش والبذاءة وسوء العشرة ، والنبي ﷺ لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً وقال : «إن من أخيركم أحسنكم أخلاقا» رواه عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما[4] .

ولعل البنت أحوج من الابن إلى التربية على خلق الحشمة والحياء لما يكتنف الأنثى من واجب التستر والحجاب والعفاف ، وما الحياء إلا متمم لهذه الخصال التي أكرم بها الدين الحنيف المؤمنات .

ففي عالم الألبسة والأزياء ينبغي للأبوين اختيار اللباس للفتاة منذ صغرها ، وحتى وهي ابنة أربع سنين ونحو ذلك لتتعود عليه وتألفه ولا تأنفه حال كبرها ، فإن الملاحظ أن الفتيات اللائي تهاون أهاليهن في تربيتهن على الحشمة والتستر حال صغرهن لأنهن -كما يقولون- لسن عورات ولم يبلغن مبلغ النساء وليس فيهن دواعي الإثارة والفتنة . . . وجدن صعوبة في التستر حال البلوغ ، بل تتثاقل إحداهن إذا لبست الحجاب السابغ ، والله عز وجل يقول للمؤمنات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[5] .

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦١٠٢) ، ومسلم في كتاب الفضائل حديث (٢٣٢٠) .

(٢) مفردات القرآن ص ١٤٠ كتاب الحاء .

(٣) الفتح ٥٢/١ .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦٠٢٩) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الفضائل حديث (٢٣٢١) .

(٥) سورة الأحزاب : الآية ٥٩ .

وأكثر ما يتورط فيه الآباء في موضوع الحشمة تهاونهم في أزياء الأولاد من البنين والبنات ، وتساهلهم في إسداء التوجيه والنصح بالاعتزاز بزي المسلمين المحتشم السابغ ، وقد قال عمر رضي الله عنه محذرا من أزياء الكفار : «**وذروا التنعم وزي العجم وإياكم والحرير ، فإن رسول الله ﷺ نهى عنه**»[1] . والحرير في شريعتنا الغراء إنما يباح للنساء دون الرجال .

- العفو والحلم :

الغريزة الغضبية متأصلة في الإنسان على اختلاف مراحل عمره ، وللغضب المذموم عواقبه السيئة في نفسية الغاضب وعقله وتصرفه ، وفيمن حوله ، لذا ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه لما سأل رجل النبي ﷺ فقال : أوصني قال : «**لا تغضب**» فردده مراراً[2] .

ولقد دعا الإسلام إلى كظم الغيظ والعفو عن الناس واحتمال جهلهم وسفههم ومقابلتهم بالعفو والحلم والصبر إيثاراً للسلامة ودفعاً لغوائل السوء ، ووعد على ذلك الأجر العظيم .

ومن أنجع الأساليب التي تزرع في الأولاد هذا الخلق الفاضل (الحلم والعفو) بعد غرس الإيمان بالله في نفوسهم ورجاء رحمته والخشية منه ومن عقابه ، تعليمهم بطريق الممارسة والمتابعة كبح جماح النفس والتسامي على نوازع الشر فيها ، وترويضها على الحلم والأناة والبصر بالعواقب فإن هذا هو الأسلوب الأمثل لمعالجة أدواء النفس ، وإليه أشار حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وهو المربي الأول قال : «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[3] .

---

(١) رواه أحمد في مسند العشرة حديث (٢٨٤) .

(٢) البخاري في كتاب الأدب حديث (٦١١٦) وانظر الفتح ١٠/٥٢٠ .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الأدب حديث (٦١١٤) ، ومسلم في كتاب البر والصلة (٢٦٠٩) .

ومن تهذيب النفس وترويضها معاملتها بما يناسب الغلط الحاصل منها كما في كفارة من لطم خادمه ولم تطاوعه نفسه على الحلم والعفو، وذلك في قصة من عجل فلطم خادماً له فقال له سويد بن مقرن رضي الله عنه: «**عجز عليك إلا حر وجهها لقد رأيتني سابع سبعة من بني مقرن ما لنا خادم إلا واحدة لطمها أصغرنا فأمرنا رسول الله ﷺ أن نعتقها**»[1].

إن التربية على الحلم والعفو غاية عظمى من غايات التربية الإسلامية ذلك لأنه يسهم بشكل كبير في إيجاد الإنسان الصالح والمواطن الصالح والمسلم المسالم، الذي يؤثر العافية ليس جبنا، بل أخذا بالحكمة والفطنة في تغليب الخير والأخذ بدواعيه وقطع الشر وأسبابه! وفي حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «**أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**»[2].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث (١٦٥٨)، وأبو داود في كتاب الأدب حديث (٥١٦٧)، والترمذي في كتاب النذور حديث (١٥٤٢). وقال: حسن صحيح.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في كتاب الأحكام حديث (٧١٨٨)، ومسلم في كتاب العلم حديث (٢٦٦٨).

المبحث الرابع : تحصين الأولاد ضد الغزو الفكري وبيان أهم مبادئ الإسلام في ذلك

نعيش عصراً تتماوج فيه الاتجاهات الفكرية وتتباين ، ويشهد جيلنا اصطراعاً فكرياً يأخذ مدى بعيداً في توجيه الشباب والناشئة وجهات شتى تنأى به عن الجادة التي هدى إليها ديننا القويم !

بل إن الساحة الإسلامية يحتدم فيها النزاع وتشتد فيها المنافسة بين القنوات الإعلامية المتعددة -مقروءة ومسموعة ومرئية- وتحمل الغث والسمين مما هو مبثوث من داخل المجتمعات الإسلامية أو ما يفد إليها من مجتمعات شتى ، وهذا ما يؤكد ما ذهب إليه المختصون في دراسة الغزو الفكري من أن (الفكر والثقافة والأيدلوجيات) هي محور الصراع الذي تخطط له القوى العالمية الغازية ، التي تهدف فيما تهدف إليه العمل الدائب على (تحويل) التوجه الفكري الثقافي لدى شباب المسلمين إلى الوجهات العلمانية والمادية التي تسود الفكر العالمي بعيداً عن معطيات الإسلام ، كي ينشأ الشباب الإسلامي مبتوت الصلة بدينه القويم ، مفتوناً بحضارة الغرب وعوائدها ، مشرباً بالروح المادية متطلعاً إليها ، وأن يظل على هذا الحال لا يملك الفكاك منه ولا الحيد عنه !!

وعلى هذا فإن حماية الناشئة وصيانتهم من آفات هذا المد الإعلامي الثقافي وأوضاره وخبثه مسئولية على كاهل الأبوين ثم رجال التربية بالمقام الأول .

ولقد أخذ الغزو الثقافي امتداداً عميقاً في أوساط الشباب ، وأحدث شروخاً كثيرة في بنيان المجتمع الإسلامي ، الأمر الذي يعطي دلالات على تقصير الكثير من الآباء والتربويين في النهوض بواجباتهم ومسئولياتهم التربوية نحو الأولاد ، أو أن جهودهم لم تكن في المستوى المواكب المكافئ للغزو الفكري المقنن .

ولنختر -اختصاراً- ثلاثة أخطار هي في بؤرة الغزو الثقافي الذي يعاني من أوضاره عامة الأولاد في البلاد الإسلامية ، ويتحتم على الآباء إدراك أبعادها والعمل على تحصين الشباب منها ووقايتهم :

خطر المخدرات ، والبطالة ، والافتتان بحضارة الغرب .

- أما المخدرات : فسموم حرمها ديننا الحنيف على اختلاف أنواعها وصور تعاطيها ودرجات تأثيرها ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «كل شراب أسكر فهو حرام»[1] ، ولئن كان المسكر حراماً فكيف بما هو أعظم منه تأثيراً وأخطر عاقبة ، وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : «نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر»[2] ، وفي تحريم مقداره أياً كان حديث عمرو بن شعيب رضي الله عنه مرفوعاً : «ما أسكر كثيره فقليله حرام»[3] .

وعلى الآباء أن يدركوا مدى خطورة المخدرات التي يحرص أعداء الإسلام على تدمير شباب المسلمين بها ، إذ تدمر في متعاطيها الإرادة وتقتل فيه العزيمة وتستنزف منه الأموال وتحيله إلى كائن كَلّ لا أهلية له في القيام بشيء .

ودور الآباء في هذا يتناول الوقاية والعلاج ، أما الوقاية فبتبصير الشباب بهذه السموم والآفات المهلكة ، وبملء أوقاتهم بكل مفيد نافع ، وبتعليمهم أمور الدين فما من شيء يحفز المرء فيقيه الآفات مثل قوة الديانة ، وأما العلاج فبتخليصهم منها إن تورطوا فيها ، وبالتعاون مع الجهات الأمنية المعنية بمكافحة المخدرات .

وقد وفق الله ولاة الأمور في المملكة فنفذوا حكم الله تعالى في مهربي ومروجي السموم بقتلهم تعزيراً وبلادنا على هذا من أقل البلاد التي تشكو من داء المخدرات ولله الحمد ، ودور الأبوين في تجنيب الأولاد هذه السموم دور غير يسير لاضطلاعهما

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الوضوء حديث (٢٤٢) ، ومسلم في كتاب الأشربة حديث رقم (٢٠٠١) .

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأشربة حديث (٣٦٨٦) ، وأحمد في مسند الأنصار حديث (٢٥٤١٦) .

(٣) رواه النسائي في كتاب الأشربة حديث (٥٦٠٧) ، وابن ماجه في كتاب الأشربة حديث (٣٣٩٤) ، وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث (٦٢٧١) .

بالمسئوليات التربوية منذ سن مبكرة ، ولقيامهما بتلك المسئوليات برغبة تدفعها الفطرة والجبلة ، وبباعث الديانة والأمانة وهذا ما لا يتوفر في غير الوالدين المسلمين .

- أما البطالة : وهي في مفهومها العام الفراغ مما يملأ الوقت ويشبع الرغبات والميول ، ولقد أعطى الإسلام الإنسان مقومات الحياة وحضه على استغلال خيرات الأرض والنهوض بعمارتها والضرب في مناكبها ، وأن يعمر أوقاته بذكر الله وعبادته ، فيعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ويعمل لغده كأنه يموت غدا ، قال تعالى : ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1] .

وعلى الآباء كما سبق بيانه تعليم الأولاد أمور الدين وأحكام العبادات لا سيما الفروض ، وكذلك تعريفهم بأمور المعاش بتدريبهم على مهنة أو صنعة ، مع توفير سبل الترفيه والترويح في الإطار المشروع وبالقدر الضروري المعتدل ، كي لا يقعوا فريسة البطالة والفراغ بكل أنواعه : الفراغ العاطفي والفراغ الثقافي والفراغ الروحي والفراغ النفسي ، فإن الفراغ يجلب الهم والغم ، ويورث الإنسان الكسل والعجز والتواكل ، ويورطه في بلاء قد يطول شره .

ولقد كان النبي ﷺ يقول كما في حديث أبي طلحة رضي الله عنه : «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال**»[2] .

ولنا فيه أسوة حسنة بالأخذ بهذا الدعاء المسنون ، وبالعمل على تجنيب الأولاد داء البطالة من كل طريق مشروع يقدر عليه .

ومن تدبر توجيهات الدين الحنيف في أهمية ملء الفراغ ، وبأهمية إقامة الموازنة في ذلك وجده أتم نظام وأحكم بيان ، فلقد ذم الذين لا يعرفون من الحياة إلا المتع والشهوات فيعيشون لها ومن أجلها قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾[3] .

---

(١) سورة القصص : الآية ٧٧ .

(٢) رواه البخاري في كتاب الدعوات حديث رقم (٦٣٦٣) ، وأبو داود في كتاب الصلاة حديث (١٥٤١) ، والترمذي في كتاب الدعوات حديث (٣٤٠٦) ، والنسائي في كتاب الاستعاذة حديث (٥٤٥٣) .

(٣) سورة محمد : الآية ١٢ .

وذم الذين لا نصيب لهم في عبادة الله والتذلل له فأرواحهم خاوية وقلوبهم ميتة قال تعالى : ﴿ . . . بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ . . . وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾[2] .

وذم الذين يؤثرون الفانية على الباقية ويرغبون عن النهج الراشد فقال تعالى : ﴿ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾[3] ، وحذر من تلقف الأفكار والثقافات الضالة المضلة التي تعبث بعقل الإنسان وترديه قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[4] .

فكل ما سوى الصراط المستقيم فهو ضلال وغي يردي بمن اعتقده في النار ، وكل نظرية أو عقيدة أو ملة سوى دين الإسلام فهي ضلال .

ولعل من أخطر العوامل التي تسهم في اعتناق الأفكار الوافدة والنظريات الهدامة الفراغ النفسي والخواء الروحي ، وكذلك الفراغ الوقتي الذي يعاني منه الشباب ، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»**[5] .

- **أما الإفتتان بحضارة الغرب** : وهي الافتتان بالثقافات المعادية للإسلام ، وهذا الخطر ماحق ليس ينجو من ويلاته وآثاره وتبعاته إلا من رحم الله ، وتبعاته تمتد لأجيال وقد لا يتيسر الخلاص منها حتى على المدى البعيد ! .

ومن العوامل المساعدة على الوقوع فيه الفراغ الثقافي الذي عاشه الكثيرون

---

(١) سورة الأنبياء : الآية ٤٢ .

(٢) سورة الأحقاف : الآية ٣ .

(٣) سورة إبراهيم : الآيتان ٢ - ٣ .

(٤) سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

(٥) رواه البخاري في كتاب الرقاق حديث (٦٤١٢) ، والترمذي في كتاب الزهد حديث (٢٣٠٤) ، وابن ماجه في كتاب الزهد حديث رقم (٤١٧٠) .

من شباب المسلمين لاسيما في البلاد التي بليت بالاستعمار الغربي في القرن الميلادي الماضي وأوائل القرن الحالي ، حاشا الجزيرة العربية التي حماها الله بمنه وفضله وخفي لطفه من دنس الاستعمار وكيده وخبثه !

ولئن رحل الاستعمار العسكري بعد أن استيقظت في الدول نوازع التحرر وصار ذلك توجها عالمياً فإن الغزو الثقافي وهو الأخطر أثراً طفق يمتد إلى عقول وقلوب الكثيرين من أولاد المسلمين . . . حتى تكونت منهم جحافل تناوئ من يكشف زيف هذا الغزو الثقافي فإذا هي تلاحي عنه وتعمل جاهدة على إرساء دعائمه في المجتمعات الإسلامية عبر مظاهره المتعددة المتغلغلة في تلكم المجتمعات كالعلمانية ، وغيرها معروف مشهود .

وعليه فإن من واجبات الأباء ومسئولياتهم التربوية :

إدراك هذه الأخطار الثقافية ، وآثار تلكم القنوات الإعلامية التي تعمل ليل نهار لإفساد نزعة التدين في الناشئة ، وإلهائهم بالشهوات والغرائز عن معالي الأمور .

والعمل الجاد المثمر في توعية الأولاد وتبصيرهم بأعدائهم وما يكيدونهم به وما يعدونه من خطط وأساليب ، وفي الوقت نفسه تبصير الناشئة بأمور دينهم على مختلف مراحل العمر لتقوم بذلك الحصانة الكافية واللازمة لوقاية الأولاد وفلذات الأكباد من الخطر الثقافي الداهم الذي سيشهد تنامياً مضطرداً على مر الأيام على ما هو معلن من خلال مؤتمرات القوى المعادية[1] .

وهذا من آكد الواجبات والأمانات الملقاة على عواتق الأباء عملاً بقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾[2] .

---

(١) ومن أخطرها مؤتمر كلورادو بالولايات المتحدة سنة ١٤١٥هـ ، انظر كتاب (التنصير) وهو خلاصة لأعمال ذلك المؤتمر التبشيري .

(٢) سورة التحريم : الأية ٦ .

ولعل من أنجع الحلول لتحصين الشباب ضد الغزو الفكري بعد تعليمهم معطيات الدين الحنيف وتربيتهم على معين القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة ، تحصينهم بالتزويج المبكر ، فإن التزويج كما في كتاب الله تعالى واجب شرعي لا يتكاسل عنه إلا فاجر أو عاجز ، قال تعالى : ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] . فإن في النكاح سوى الإعفاف من الفوائد ما لا يحصى كملء الفراغ على الكد والكسب ونبذ البطالة ، وتحصيل الأجر في السعي على الزوجة والأولاد وتربيتهم .

والله يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد .

هذا ومن القواعد والثوابت التي هي بمثابة المحاور العقدية لإيجاد خطة الحصانة لأولادنا ذكوراً وإناثاً ما ذكر الله تعالى في محكم التنزيل وبينه النبي ﷺ في سنته المطهرة ، ومن ذلك :

- أن القوى المعادية للإسلام والمسلمين ما تود أن يكون للمسلمين خير قط فهم يعملون للكيد لهم وإلحاق الأذى بهم بأي طريق يقدرون عليه قال تعالى : ﴿ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[2] .

قال ابن كثير : يبين تعالى شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين الذين حذر الله تعالى المؤمنين من مشابهتهم ، ليقطع المودة بينهم وبينهم[3] .

- أن أعداء الإسلام يعملون ليصرفوا المسلمين عن دينهم القويم بشتى الوسائل والأساليب قال تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[4] .

(١) سورة النور : الآية ٣٢ .

(٢) سورة البقرة : الآية ١٠٥ .

(٣) تفسير ابن كثير ١٥٩/١ .

(٤) سورة البقرة : الآية ١٠٩ .

وليس المقصود بأهل الكتاب كعب بن الأشرف أو حيي بن أخطب أو غيرهما من أحبار اليهود فحسب، وإنما الآية عامة في كل من كان على شاكلتهم كما يقول ابن جرير الطبري[1].

- أنهم لا يقر لهم قرار حتى يصير المسلمون على نهج الكافرين وطريقتهم بترك الإسلام -والعياذ بالله- والصيرورة إلى الإلحاد والكفر قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[2].

فالهدى إنما هو الإسلام فلماذا ينساق بعض المسلمين إلى أهواء الكافرين!، والمعنى كما يقول صاحب الكشاف: إن هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى بالحق، والذي يصح أن يسمى هدى، وهو الهدى كله ليس وراءه هدى، وما تدعون إلى اتباعه ما هو بهدى إنما هو هوى[3].

وهذا أمر معلوم ليس يجهله مسلم راشد، وإنما هي المفاصلة فالملل متباينة وملة الإسلام هي الحق الذي لا ريب فيه، ومن رغب عنه خرج عن الجادة وخسر خساراً مبيناً.

- أن اقتفاء أثر الكفر والإلحاد واعتناق نظرياتهم المناوئة للإسلام والإعجاب بما عندهم من أفكار ومبادئ الدين الحنيف خروج عن منهج المسلمين، وقد يصير المسلمون بذلك من الكافرين قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾[5].

---

(١) انظر تفسير الطبري ٢/٥٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٠.

(٣) الكشاف للزمخشري ١/٣٠٨.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٠٠.

(٥) سورة آل عمران: الآيتان ١٤٩ - ١٥٠.

فلا موالاة بين المسلمين والكافرين مهما كانت البواعث والدوافع ، ولا طاعة لكافر فإنه يردي المسلم في الهاوية ويصده عن سواء السبيل بكل طريق يقدر عليه ، ببث الفتن تارة وبالتشكيك في الإسلام تارة وبإثارة الغرائز وتوجيهها نحو الشر والإفساد تارة ، والله من ورائهم محيط .

- أن الركون إلى الكفار والاغترار والاعتزاز بهم والأخذ من مبادئهم من سمات المنافقين ، ومصير من يفعل ذلك النار والعياذ بالله قال تعالى : ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[1] ، وقال : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[2] .

أي : فإنكم إذا ملتم إليهم ووافقتموهم على ظلمهم أو رضيتم ما هم عليه من الظلم . . . مستكم النار ، وفي الآية تحذير من الركون إلى كل ظالم والمراد بالركون الميل والانضمام إليه على ظلمه وموافقته على ذلك والرضا بما هو عليه من الظلم[3] .

- إن من المسلمين من يتبع الكافرين في عوائدهم ورسومهم وأفكارهم بل وعقائدهم كما أخبر بذلك النبي ﷺ في قوله : «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم**» قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال : «**فمن**»؟ رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه[4] .

وما أشد الافتتان باليهود والنصارى في رسومهم وأزيائهم وعوائدهم ونظرياتهم بل ومعتقداتهم ، وإن هذا لمن الجهل والسفه ! وإن درء ذلك لمن مسئوليات المسلمين جميعاً من الأمراء والعلماء كل بحسب مكانته ومقدرته ، ويضطلع الأبوان من ذلك بالسهم الأوفر لولايتهم المباشرة على من تحت أيديهم من الولدان والأغرار الذين هم في مسيس الحاجة إلى الكلمة اللينة الواعية والأسلوب المسترشد بنور القرآن المستنير بهدي خير الأنام ، والله عز وجل سائل كل مسلم عما استرعاه عليه .

---

(١) سورة النساء : الآيتان ١٣٨ - ١٣٩ .

(٢) سورة هود : الآية ١١٣ .

(٣) تيسير الكريم الرحمن ٢١٩/٣ بتصرف طفيف .

(٤) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الاعتصام حديث (٧٣٢٠) ومسلم في كتاب العلم حديث (٢٦٦٩) .

المبحث الخامس : مسئولية الآباء تجاه الأولاد بعد سن البلوغ والرشد

يتحدد سن البلوغ في أعدل الأقوال ببلوغ الصبي أو الجارية الخامسة عشرة تقريباً ، مع ظهور علاماته كشعر اللحية والعانة واحتلام الصبي وحيض الجارية ، وللفقهاء في ذلك تفصيل يرجع إليه[1] .

ولعل من أظهر ما يستدل به في ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : عرضني رسول الله ﷺ يوم أحد في القتال وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني ، وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني ، قال نافع : فقدمت على عمر بن عبدالعزيز وهو يومئذ خليفة فحدثته هذا الحديث ، فقال : إن هذا لحد بين الصغير والكبير ، فكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن كان ابن خمس عشرة سنة ، ومن كان دون ذلك فاجعلوه في العيال[2] .

ويستمر الأبوان في القيام بمسئولياتهما العامة تجاه الأولاد لا سيما ما لا غنية لهم عنه كالدعاء بالصلاح والتوفيق ، ولقد قال إخوة يوسف عليهم السلام : ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3] .

وأيضاً النصح والتوجيه للخير بالأسلوب الرفيق وبالموقف الحكيم وبالقدوة الحسنة والموعظة والتذكير ، فإن توجيه الفتى اليافع ليس كتوجيه الصبي الغر ، وليس كتوجيه ونصح الرجل المكتمل في قواه العقلية والفكرية .

---

(١) انظر المغني لابن قدامة .

(٢) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الشهادات (٢٦٦٤) ، ومسلم في كتاب الإمارة (١٨٦٨) .

(٣) سورة يوسف : الآيتان ٩٧ - ٩٨ .

وفي حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «من حُرم الرفق حُرم الخير ومن يُحرم الرفق يُحرم الخير»[1] .

وفي حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : «إنَّ الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلاشانه»[2] .

إن أعظم أسلوب ينبغي أن يعيه ولا يحيد عنه الأبوان في نصح الولد بعد البلوغ وفي معالجة مشكلاته واعوجاجه الرفق والأناة وسعة الصدر وطول البال فإن الاستعجال والتشنج والغضب المذموم لا يأتي بخير ، والفتى والفتاة بعد البلوغ في حاجة إلى كلمة طيبة هادفة ونصح بناء ومن الله التوفيق .

وأيضاً التعليم والتوجيه بالتمسك بالأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة في المظهر والمخبر ، فإن ترسيخ الأخلاق ليس يقتصر على فئة من الأولاد دون أخرى ، ولا هو لمرحلة من عمر الإنسان دون غيرها ، ومما يوجه به الشاب بعد الاستقامة ومعها : الاهتمام بالمظهر وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب»[3] .

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «من لم يأخذ من شاربه فليس منا»[4] .

وكذلك توجيه الفتاة بالحجاب الشرعي والتزام الحياء والحشمة والعفاف فإن

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٥٩٢) ، وأبو داود في كتاب الأدب حديث (٤٨٠٩) ، وابن ماجه في كتاب الأدب حديث (٣٦٨٧) ، وأحمد في مسند الكوفيين حديث (١٨٤١١) .

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة حديث (٢٥٩٤) ، وأبو داود في كتاب الجهاد حديث (٢٤٧٨) ، وأحمد في مسند الأنصار حديث (٢٣١٧١) .

(٣) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب اللباس حديث رقم (٥٨٩٢) واللفظ له ، ومسلم في كتاب الطهارة حديث (٢٥٩) .

(٤) رواه الترمذي في كتاب الأدب حديث (٢٨٦١) وقال : حسن صحيح ، والنسائي في كتاب الطهارة حديث (١٣) .

الاستقامة على أمر الله وتقواه سبحانه والاستعداد لما بعد الموت أمر لا يعدله شيء ، وكما قال تعالى : ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] .

ومما يجب على الآباء في هذه المرحلة :

- تزويج الولد البالغ سواء كان ابناً أو بنتاً ، أما الابن فبالإنفاق عليه وتزويجه والإعانة على ذلك إن لم يكن قادراً وخشي عليه الفتنة ، ولأن تحصينه وإعفافه بالزواج مع قدرة الأب على ذلك أيسر مؤونة من معالجة وقوعه في بلاء الفاحشة أو داء المخدرات ! .

وكذلك السعي لتزويج الفتاة فإن إهمال أمرها وصرف الخطاب عنها ظلم لها وعضل وهو منهي عنه ، وليس من غضاضة في أن يبحث الأب أو الأخ عن زوج كفء لابنته وأخته ، فإن ذلك فعل الأخيار ، وفيه درء لأخطار العنوسة وشبح الرذيلة ومساوئ الفراغ والبطالة عن الفتيات المسلمات العفيفات ، والفتاة المسلمة من جملة العرض الذي يحميه المسلم ويصونه من كل ما يشينه .

وفي تأخير الزواج عن السن المعروفة وهي ما بين (٢٠- ٢٥) سنة للفتيان ، و(١٧-٢٣) سنة للفتيات أخطار متعددة ، وهي أخطر في عصر كعصرنا إذ تعددت وتنوعت فيه وسائل الإغراء بالحرام والإغواء والإثارة ، وفي بقاء الشباب مع ذلك سنوات طويلة بلا زواج مفاسد جمة لا تقتصر على جيل العزاب والعوانس فحسب بل وتتجاوزه إلى أجيال كثيرة[2] .

- ومما يجب على الوالدين أن لا يتركوا أولادهم فقراء بالإجحاف في الوصية أو بمحاباة البنين على البنات ، أو بنحو ذلك من المسالك التي لا يرضى عنها الله ولا رسوله ﷺ ، فالوصية لوارث والإهداء لبعض الأولاد دون البعض الآخر والوصية بأكثر من الثلث في أوجه الخير . . . كل ذلك لا يجوز وللشرع فيه بيان واضح .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٢٨ .

(٢) انظر كتابنا تأخر سن الزواج أسبابه وأخطاره وطرق علاجه ، ط ١٤١٥هـ ، دار العاصمة - الرياض .

ولما أراد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يوصي بماله كله نهاه النبي ﷺ ، قال : فالشطر ، «فنهاه» قال : الثلث ، قال : «**فالثلث والثلث كثير إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس في أيديهم ، وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك**»[1] .

وهكذا فالإسلام دين الوسطية والاعتدال والواقعية ، يقيم موازنة بين حاجات النفس وأشواق الروح وحقوق الآخرين ، فلا يرضى بالضيم ولا بالتهاون ولا بالغلو والمبالغة .

وفي العدل بين الأولاد حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه وفيه يقول النبي ﷺ : «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»[2] .

هذا وهناك حقوق عامة هي في الحقيقة حقوق متبادلة بين الآباء والأبناء ، بل وبين المسلمين جميعاً كحفظ العرض وستر الزلات والعفو والتماس الأعذار ، ولئن كانت هذه الحقوق بين عموم المسلمين واجبة فإنها على الآباء ألزم لما يدلون به من وشيجة الرحم ، ولما تنفرد به عروة الأبوة ولحمتها من معاني الإيثار والبذل ، ثم هي على الأبناء أوجب وأوجب لعظم حق الوالدين إذ قرن الله حقهما بحقه جل وعز .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في كتاب الوصايا حديث (٢٧٤٢) ومسلم في كتاب الوصية حديث (١٦٢٨) .

(٢) متفق عليه ، وقد تقدم ص ٣ .

الخاتمة

هذه الدراسة المتواضعة ليست تعدو أن تكون رؤية تربوية لموضوع ضخم متعدد الجوانب متشابك المسالك عظيم الخطر ، إنه موضوع (مسئولية الآباء تجاه الأولاد) ، وهو موضوع جدير بأن تعقد له الندوات المتتابعة ، ويستكتب فيه التربويون المتخصصون ، وترصد له سلسلة من الدراسات الإعلامية تبين أهميته وحجمه المتنامي ، وأثره الضارب في جذور البنيان الأسري ، وقيمته في موازين الشرع .

ولعل هذا الكتيب -تلخيص- للمعالم والأسس العامة للواجبات الشرعية المناطة بالآباء تجاه الأولاد ، مما يندرج في إطار المسئوليات والأمانات التي لا يجوز بحال التفريط فيها ، وإلا كان تفريطاً في الكيان الإنساني !!

ومن خلال فصول هذا الكتيب ومباحثه ومسائله ، فإن في مكنة القارئ التوصل إلى الاستنتاجات التالية :

- أن حاجة الأولاد إلى رعاية الآباء وتربيتهم حاجة متنامية مضطردة وفي الوقت ذاته هي حاجة أساسية ليس لهم عنها غنية ، ولا للآباء عنها محيد .

- وأن دور الآباء في تربية الأولاد دور أساس لا يضارعه دور آخر لاسيما في عمق التأثير وقوة التحوير ، لما للآباء من خصائص وعوامل تتوافر وتتضافر لتحقيق الأهداف التربوية .

- وأن صلاح الآباء واستقامتهم واستمساكهم بالدين القويم والهدي المستقيم مطلب أساس فبصلاحهم يصلح الله الولد ، وصلاح الآباء أسلوب في التربية وهو أسلوب القدوة العملية التي ينتفع بها الولد لاسيما في مراحل الصبا الأولى بطريق المحاكاة والتقليد ، وبطريق الحمية والتفاخر بمآثر الآباء ، وهو نافع محمود إن كان في الفضائل .

- أن تربية الأولاد على العقيدة الإسلامية ومستلزماتها مطلب أساس ومقصد تربوي جليل ، ولذلك آثاره الحميدة في حياة الولد في الدنيا والآخرة ، لما يسكبه الإيمان في القلوب من مشاعر الطمأنينة والراحة النفسية والاستقامة على دين الله ، فكل تربية بنيت على غير هذا الأساس فإنها ليست بشيء !

إذ لا معنى للحياة بغير العقيدة الإسلامية ، وليس يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

- أن النهج الأقوم في تربية الولد بعد تلقينهم مبادئ العقيدة ، البدء بتربيتهم على مائدة القرآن العظيم ، بحفظه وتلاوته وتدبر معانيه والعمل بمقتضاه ، وهذا هو التأسيس التربوي السليم الذي عليه ومن خلاله ينهض البنيان التربوي ويتكامل ويتناسق .

- أن مهمة الآباء ومسئوليتهم تجاه الأولاد من الشمولية بمكان ، إذ تنتظم أمور المعاش والمعاد ، وتتوخى صلاح الدنيا والآخرة ، وهذا يستدعي الفقه في الدين ، والوقوف على مجريات الحياة وأنماطها ليتأهل الولد لأمور دنياه ، وليقوم قبل ذلك بواجباته الدينية ويعرف حق ربه عز وجل وحقوق الخلق .

- أن تحصين الأولاد والعمل على حمايتهم من المؤثرات الثقافية الوافدة مطلب آني ملح ، ويقع الجزء الأكبر من ذلك ضمن مسئوليات الآباء لما يتمتعون به من مقومات التحصين المبكر ، ولما طوقهم الشرع به من أمانة الولد والعمل على وقايته وتبصيره بكل ما يرديه في هاوية العطب في الفكر والسلوك وجملة العوائد ، فالدين الحنيف من الكمال والشمولية بحيث يفي بكل حاجات الإنسان ، ولكل العصور ، ويهديه للتي هي أقوم .

- أن الآباء أول من ينعم بصلاح الولد إن أحسنوا تربيته وتهذيبه ، كما أنهم تنالهم غوائل الولد إن أساؤوا تربيته ، وتلك سنة الحياة .

- أن الأولاد جزء من الآباء . فهم امتداد إنساني ، والتفريط فيهم وإضاعتهم إلقاء بالنفس إلى التهلكة وهو ما نهى عنه الشرع ، كما أن القيام بالأمانة على الوجه الأتم من القيام بفروض الدين وواجباته .

هذا ، ونقول كما علمنا الله تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[1] .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

---

(١) سورة الفرقان : آية ٧٤ .

قائمة بالمراجع والمصادر

أولاً ـ القرآن العظيم .

ثانياً ـ من كتب السنة والسيرة والمراجع العامة :

١- الأدب المفرد : محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ) ترتيب وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، ط : ١٤٠٩هـ دار البشاير ـ بيروت .

٢- الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن محمد بن حجر (٨٥٢ هـ) ، ط : دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٣- اعتقاد أهل السنة : هبة الله اللالكائي (٤١٨ هـ) تحقيق أحمد سعد حمداني ، ط : ١٤٠٢هـ دار طيبة ـ الرياض .

٤- البداية والنهاية : إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤ هـ) تحقيق د . أحمد أبو ملحم وزملاؤه ، ط : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٥- البيان والتعريف : إبراهيم بن محمد الحسيني (١١٢٠ هـ) تحقيق سيف الدين الكاتب ، ط : ١٤٠٣هـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

٦- تاريخ ابن خلدون : (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر) عبدالرحمن بن خلدون (٨٠٨ هـ) ، ط : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٧- تاريخ الأمم والملوك : محمد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) ،ط :١٣٩٩هـ/١٩٧٩م دار الفكر .

٨- الترغيب والترهيب : عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري (٦٥٦ هـ) تحقيق إبراهيم شمس الدين ، ط : ١٤١٧هـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

٩- تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن كثير (٧٧٤ هـ) ط : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م بيروت .

١٠- تلخيص الحبير : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) تحقيق عبدالله هاشم اليماني ، ط : ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ـ المدينة المنورة .

١١- الجامع الصحيح (صحيح البخاري) : محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ) ، ط : فتح الباري المطبعة السلفية ـ مصر .

١٢- الجامع الصغير : عبدالرحمن بن أبي بكر (٩١١ هـ) تحقيق محمد عبدالرؤوف وزميله ، ط : دون تاريخ ، دار طائر العلم ـ جدة .

١٣- خلاصة البدر المنير : عمر بن علي بن الملقن (٨٠٤ هـ) تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، ط : ١٤١٠هـ مكتبة الرشد ـ الرياض .

١٤- زاد المعاد في هدي خير العباد : محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ابن قيم الجوزية (٧١٥ هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط وأخيه ، ط : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
١٥- زاد المسير في علم التفسير : عبدالرحمن بن علي الجوزي (٥٩٧ هـ) ، ط : ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م - بيروت .
١٦- سبل السلام : محمد بن إسماعيل الصنعاني (٨٥٢ هـ) تحقيق محمد عبدالعزيز الخولي ، ط : ١٣٧٩هـ دار إحياء التراث العربي - بيروت .
١٧- السنة : عبدالله بن أحمد بن حنبل الشيباني (٢٩٠ هـ) تحقيق د . أحمد سعد القحطاني ، ط : ١٤٠٦هـ دار ابن القيم - الدمام .
١٨- سنن الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (٢٧٩ هـ) ترتيب أحمد شاكر ، ط : بيروت .
١٩- سنن الدارمي : ترتيب وترقيم العالمية (صخر) القاهرة .
٢٠- السنن الكبرى : أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨ هـ) ، ط : ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م دار الباز - مكة المكرمة .
٢١- سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥ هـ) ، ط : ١٣٨٨هـ - سوريا .
٢٢- سنن ابن ماجه : محمد بن يزيد القزويني (٢٧٥ هـ) ترتيب محمد فؤاد عبدالباقي .
٢٣- سنن النسائي : أحمد بن شعيب بن علي النسائي (٣٠٣ هـ) ترقيم عبدالفتاح أبو غدة ، ط : ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م - بيروت .
٢٤- السيرة النبوية : لابن هشام (٢١٨ هـ) تحقيق مصطفى السقا وآخرون .
٢٥- صحيح ابن حبان : محمد بن حبان البستي (٣٥٤ هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م مؤسسة الرسالة - بيروت .
٢٦- صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١ هـ) ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي .
٢٧- صفة الصفوة : عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (٥٩٧ هـ) ، ط : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م دار المعرفة - بيروت .
٢٨- الطبقات الكبرى : محمد بن سعد البصري ، ترتيب محمد عبدالقادر عطا ، ط : ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م دار الكتب العلمية - بيروت .
٢٩- فتح الباري (شرح صحيح الإمام البخاري) : أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢ هـ) المطبعة السلفية - القاهرة .
٣٠- الكامل في التاريخ : محمد بن محمد عبدالكريم الشيباني ابن الأثير (٦٣٠ هـ) ، ط : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م دار الكتاب العربي - بيروت .

٣١- كشف الخفاء : إسماعيل بن محمد العجلوني (١١٦٢ هـ) تحقيق أحمد القلاش ، ط : ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة - بيروت .
٣٢- لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور المصري (٧١١ هـ) ط : بيروت .
٣٣- مجمع الزوائد : علي بن أبي بكر الهيثمي (٨٠٧ هـ) ، ط : ١٤٠٧هـ دار الريان للتراث - القاهرة .
٣٤- المستدرك على الصحيحين : محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (٤٠٥ هـ) تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، ط : ١٤١١هـ / ١٩٩٠م دار الكتب العلمية - بيروت .
٣٥- مسند الإمام أحمد : أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١ هـ) ترتيب وترقيم العالمية (صخر) - القاهرة .
٣٦- مسند إسحاق بن راهويه : إسحاق بن إبراهيم بن راهويه الحنظلي (٢٣٨ هـ) تحقيق د . عبدالغفور البلوشي ، ط : ١٩٩٥م مكتبة الإيمان - المدينة المنورة .
٣٧- مصباح الزجاجة : أحمد بن أبي بكر الكتاني (٨٤٠ هـ) ، ط : ١٤٠٣هـ دار العربية - بيروت .
٣٨- المعارف : عبدالله بن مسلم ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) تحقيق د . ثروت عكاشة ، ط : دار المعارف - مصر
٣٩- المعجم الأوسط : سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠ هـ) تحقيق طارق عبدالله وزملاؤه ، ط : ١٤١٥هـ دار الحرمين - القاهرة .
٤٠- المعجم الكبير : سليمان بن أحمد الطبراني (٣٦٠ هـ) تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، ط : ١٤٠٤هـ مكتبة العلوم والحكم - الموصل .
٤١- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية مصر ، ط : المكتبة العلمية - طهران .
٤٢- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج - يحيى بن شرف النووي (٦٧٦ هـ) ، ط : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م دار القلم - بيروت .
٤٣- موطأ مالك -مالك بن أنس- : ترتيب وترقيم العالمية (صخر) - القاهرة .
٤٤- النهاية في غريب الحديث والآثار : مبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ، ط : المطبعة الخيرية - مصر .
٤٥- نيل الأوطار : محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٥ هـ) ، ط : ١٩٧٣م دار الجيل - بيروت .

وبالله التوفيق